بسم الله الرحمن الرحيم

قال أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه أَنَّ رَجُلاً مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ يُقَالُ لَهُ زَاهِرُ بْنُ حَرَامٍ الأشجعي-ممن شَهِدَ بَدْرًا- كَانَ يهْدِي إِلَى النَّبِيِّ صَلى الله عَلَيه وسَلم الْهَدِيَّةَ فَيُجَهِّزُهُ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ، فَقَالَ صَلى الله عَلَيه وسَلم: ((إِنَّ زَاهِرًا بَادِيَتُنَا وَنَحْنُ حَاضِرُوهُ...قَالَ: فَأَتَاهُ صَلى الله عَلَيه وسَلم وَهُوَ يَبِيعُ مَتَاعَهُ، فَاحْتَضَنَهُ مِنْ خَلْفِهِ وَالرَّجُلُ لَا يُبْصِرُهُ، فَقَالَ: أَرْسِلْنِي مَنْ هَذَا؟ فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ، فَلَمَّا عَرَفَ أَنَّهُ النَّبِيُّ صَلى الله عَلَيه وسَلم جَعَلَ يُلْزِقُ ظَهْرَهُ بِصَدْرِهِ، فَقَالَ صَلى الله عَلَيه وسَلم: مَنْ يَشْتَرِي هَذَا الْعَبْدَ؟ فَقَالَ زَاهِرٌ: تَجِدُنِي يَا رَسُولَ الله كَاسِدًا! فَقَالَ: لَكِنَّكَ عِنْدَ الله لَسْتَ بِكَاسِدٍ...أَوْ قَالَ صَلى الله عَلَيه وسَلم: بَلْ أَنْتَ عِنْدَ الله غَالٍ))...فوائد وهدايات القصة:

١ – القصة تعكس صدق محبة الصحابي زاهر للنبي صلى الله عليه وسلم، إذ كان يأتي إلى المدينة محملاً بهدايا البادية، فيهديها لحبيبه صلى الله عليه وسلم، ليعمق بذلك حبه في قلب النبي صلى الله عليه وسلم الذي قال: ((تَهَادُوا تَحَابُّوا)).

٢– عناية النبي صلى الله عليه وسلم بأتباعه ومقابلة إحسانهم بإحسان مثله، فها هو صلى الله عليه وسلم يجهز زاهراً رضي الله عنه ويجمع له ما يحتاجه من المدينة مما ليس في البادية، ليكشف لنا أن العلاقة بينهما قوة متينة، إنه علاقة وطيدة من الحب والوداد لخصها صلى الله عليه وسلم بقوله: ((إِنَّ زَاهِرًا بَادِيَتُنَا وَنَحْنُ حَاضِرُوهُ)).

بل العلاقة أعلى من ذلك تصل إلى المزاح بالقول والفعل في مشهد كله أُنسٌ وحبٌ...

زاهرٌ في السوق يبتاع ويشتري والسوق مزدحم، فيأتي صاحب القلب الودود، عليه الصلاة والسلام إلى السوق فيتجه إلى زاهر ممازحاً ومداعباً ((فَيحْتَضَنهُ مِنْ خَلْفِهِ وَالرَّجُلُ لَا يُبْصِرُهُ، فَقَالَ: أَرْسِلْنِي، مَنْ هَذَا؟ فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ، فَلَمَّا عَرَفَ أَنَّهُ النَّبِيُّ صَلى الله عَلَيه وسَلم جَعَلَ يُلْزِقُ ظَهْرَهُ بِصَدْرِهِ، فَقَالَ صَلى الله عَلَيه وسَلم: مَنْ يَشْتَرِي هَذَا الْعَبْدَ؟))

فما أعظم شمائلك يا رسول الله! وما أسعدك يا زاهر إذ فزت بحضنه صلى الله عليه وسلم...

مشهد فيه درسٌ بليغ للمربين والدعاة وحملة الدين... ودرسٌ للآباء والأمهات أنِ اقتربوا ممن تقوموا

على تربيتهم وتعليمهم، لا تجعلوا بينكم وبينهم حواجز، مازحوهم ولاعبوهم أدخلوا عليهم الفرح والسرور وتعهدوهم بالهدية والإحسان، وأثنوا عليهم بما يقومون به من خير ونجاح، فبذلك تدخلون السعد على نفوسهم وتبنون فيها جسوراً من الثقة معهم...

يخطئ كل الخطأ من يزعم أن المزاح مع الأهل والأبناء والأصدقاء والتلطف بهم، أو الإهداء إليهم والتبسم في وجوههم والثناء عليهم يسقط الهيبة...ظن يخالف هدي النبي صلى الله عليه وسلم، خير من زكّى النفوس وقام على تربيتها وكفى به أسوة وقدوة...

٣- القصة درس في التواضع فهذا صلى الله عليه وسلم يفيض الحب على رجل من البادية ويقبل هديته ويهدي إليه ويمازحه، وهذا زاهر يستصغر نفسه ويقول:((تَجِدُنِي يَا رَسُولَ اللهِ كَاسِدًا)) أي لا قيمة لي ولا ثمن...لما قال صلى الله عليه وسلم: ((مَنْ يَشْتَرِي هَذَا الْعَبْدَ؟)) أي لا قيمة لي ولا ثمن...وكان ثمرة هذا التواضع واستصغار النفس أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم، بشارة عظيمة ظفر به هذا الصحابي رضي الله عنه فقال له: ((لَكِنَّكَ عِنْدَ اللهِ لَسْتَ بِكَاسِدٍ، بَلْ أَنْتَ عِنْدَ اللهِ غَالٍ)) هكذا يرفع الله تعالى المتواضعين ويعلي شأنهم...قال صلى الله عليه وسلم: ((وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ للهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ)). رواه مسلم

٤- قيمة العبد عند الله ليست بالشكل أو المكانة أو الهيئة، بل بما وقر في القلب من الإيمان والتقوى ومحبة الله ورسوله...قال صلى الله عليه وسلم: ((إِنَّ اللهَ تعالى لَا ينظرُ إلى صُوَرِكُمْ وَأَمْوالِكُمْ ، ولكنْ إِنَّما ينظرُ إلى قلوبِكم وأعمالِكم)).

الناسَ لا تَتفاضَلُ بحُسْنِ المظاهِرِ أو كَثرةِ الأموالِ، وإنما تتفاضلُ بطَهارةِ القلوبِ، والخَشيةِ من اللهِ، والسَّعيِ في الأعمالِ الصالحةِ، فاللهَ سبحانه وتعالى لا يَنظُرُ إلى أجسامِ العبادِ؛ هلْ هي كَبيرةٌ أو صَغيرةٌ، صَحيحةٌ أو سَقيمةٌ، ولا يَنظُرُ إلى الصُّوَرِ؛ هل هي جميلةٌ أو ذَميمةٌ؛ ولا يَنظُرُ إلى الأموالِ كثيرةٍ أو قليلةٍ؛ فلا يُؤاخِذُ اللهُ عزَّ وجلَّ عبادَه، ولا يُحاسبُهم على هذه الأمورِ وتَفاوُتِهم فيها...

ولكنْ يَنظُرُ إلى قُلوبِكم وما فيها من التَّقْوى واليقينِ، والصدقِ والإخلاصِ، وسائرِ الأخلاقِ الحَسنةِ والقبيحةِ...وينظر إلى أعمالِكم: من حيثُ صلاحُها وفسادُها؛ فيثيبُ ويُجازي عليها.... فلَيسَ بَيْنَ اللهِ وبَيْنَ خلْقِه صِلةٌ إلَّا بالتَّقْوى؛ فمَنْ كان لله أتْقَى كان من الله أقربَ...

فلا تركن إلى الظاهرِ دُونَ إصلاحِ الباطِنِ...فالقَلبِ هو المؤثر في صَلاحِ الجَوارحِ وفَسادِها

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين